الحجاب:
مدخل لتوعية المرأة بدورها ومكانتها في المجتمع

■ بقلم اميرة
برغل - -لبنان

إن أهم السبل الآيلة لتوعية المرأة بدورها ومكانتها الأساسية في المجتمع تكمن في معرفتها :

أولاً : بقدرها كإنسانة مستخلفة من قبل الله عز وجل في الأرض.

وثانياً: بدورها كإنسانة أنثى وبأهمية هذا الدور في مشروع الإستخلاف الإلهي.

و ذ لك لأن القيمة الوجودية لكل إنسان عند الله، ذكراً كان أو أنثى، تتحدد بقدرإسهامه في صناعة وديمومة مجتمع الإستخلاف الإلهي، المجتمع الذي يتم في كنفه توفير أفضل الظروف لتطوير الحياة البشرية وتحضُّرها وترشيد الإنسان وتكامله.

ولأهمية معرفة المرأة بمكانتها الوجودية وأثر ذلك على آدائها في الحياة، اعتنى الإسلام بتعريفها بها. فالمرأة، بحسب النصوص القرآنية والثابت من السنة النبوية الشريفة، تشارك الرجل في شرف دور خلافة الله على وجه الأرض ، وصنو له في القيمة الإنسانية،

وتتمتع بكامل الحقوق التي أقرها الله عز وجل لخليفته في الأرض، من حق الحياة والكرامة والعلم والعمل وحرية الرأي والمشاركة السياسية...ف"..الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ يُطِيعُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ أُولئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (التوبة:٧١)

وأما بخصوص أهمية دورها الأنثوي في الحياة، فلا خلاف بين الغالبية العظمى من علماء المسلمين، على عظيم قدْر الدور الفطري، الذي أوكله الله للمرأة، وأهميته في حفظ المجتمع وديمومته.

هذا الدور، إن لم يكن أجلُّ من غيره من الأدوار الأساسية لحفظ الوجود واستمراريته، فهو لا يقل أهمية عنها.

يقول الإمام الخميني(قدس):

"دور المرأة في المجتمع أسمى من دور الرجل. لأن النساء فضلًا عن كونهن فئة نشيطة في جميع النواحي، فإنهن يربين الفئات الفعالة الأخرى في أحضانهن. خدمة الأم للمجتمع أعلى من خدمة المعلم وهي أعلى من خدمة أي شخص آخر وهذا هو ما كان يريده الأنبياء. الأنبياء كانوا يريدون أن تكون النساء فئة تربي المجتمع وأن تقدم للمجتمع نساء ورجالًا أبطالًا." (صحيفة الامام، ج١٤، ص١٥٧).

ويقارن د محمد خامنئي في كتابه القيّم "فلسفة الأنوثة: مدخل لحقوق المرأة في الإسلام" بين الدور الأساسي للمرأة والرجل في الوجود، فيرى في أن الله قد أوكل إلى الإنسان الأنثى، دور صناعة البشر، في مقابل دور بناء الحجر، الذي أوكله الله إلى الإنسان الذكر، في عملية تكاملية رائعة تؤدي إلى سكينة نفسيهما وسعادتهما، من جهة، وإلى استقرار الحياة البشرية وديمومتها، من جهة أخرى.

وإذا كان الإنسان هو التجلي الأعظم لخالقه في الوجود، فإن الدور الإنجابي والتربوي الذي أوكله الله للإنسان الأنثى في الحياة الدنيا، اقتضى أن يأتي تكوين المرأة، جسدياً ونفسياً، بالكيفية التي تجعلها مظهراً لجمال الله سبحانه وتعالى، في مقابل الإنسان الذكر، الذي أراده الله مظهراً لجلاله ، كما يعبر أية الله الآملي في كتابه القيِّم "جمال المرأة وجلالها".

ولأن الجمال يجذب الآخرين إليه، كان لا بد من حماية من يمتلكه

- حمايته ممن يريد أن يحرف مساره الإنساني ليستحوذ عليه من دون وجه حق
- وحمايته من نفسه الأمارة بالسوء، التي تريد أن تستحوذ على الآخرين من دون وجه حق من هذا المنطلق نفهم فلسفة الحجاب في الإسلام

فالحجاب ليس دعوة لاحتجاب المرأة بقدر ما أنه دليل على ضرورة تفعيل حضورها الاجتماعي وليس انتقاصاً من دورها الإنساني بل تكريثاً لقدْره وأهميته وليس تضيقاً وحجزاً لحريتها بل تضيقاً على من يريد التعدي على حريتها.

وهو بذلك يشكل الدرع الواقي للمرأة من أي استغلال غير مشروع لجمالها أو أي مصادرة لإنسانيتها أو أي حرفٍ لها عن دورها الأساسي في مشروع الإستخلاف الإلهي.

ويشكل أيضاً درعاً واقياً للمجتمع يحمي أفراده من الوقوع في العلاقات المحرمة واختلاط الأنساب وتفكك الأسر وهدر الأوقات والأموال فيما ليس فيه صلاح وارتقاء للنفس البشرية.

لذا، فالحجاب في نظرنا، هو المدخل العملي لتوعية المرأة بدورها ومكانتها في المجتمع

وأنه بمثابة شعار ثوري لا بد منه من أجل الدعوة لقيام حكومة العدالة الإلهية في الأرض وسيادة القيم الإنسانية بين أفرادها

وأن من ترتديه من النساء، بشرطه وشروطه، وعن اختيار وقناعة، هي من علمت بأهمية هذه الفريضة في توكيد مكانتها وحفظ قدْرها كإنسان أنثى في الوجود. وأن التزام المرأة به عمل جهادي لا يقل قداسة عن بذل الشهيد لدمه

ولذلك كان من أجمل وأدق شعارات الثورة الإسلامية في إيران مع بداية انطلاقتها:

"دم الشهيد ينادي حجابك اختاه اغلى من دمي"